المحاضرة الرابعة: مدارس الأدب المقارن: المدرسة الفرنسية2/2

02- الأدب المقارن عند فرانسوا غويار:

يعد فرانسوا غويار واحدا من بين أبرز مؤسسي التوجه المقارن في المدرسة الفرنسية بعد فان تيغم، فما قدمه هذا الأخير لحقل الدراسات المقارنة الفرنسية لا يقل أهمية عن ما قدمه فان تيغم ويكمن الفرق بينهما في توسيع الرؤية وقد ورد في صحيفة لوموند الفرنسية في العدد الذي نشر سنة 1952 أن فرانسوا غويار، أو ماريوس-فرانسوا غويار(MARIUS-FRANÇOIS GUYARD)، هو عالم أدب فرنسي (1910-1974) يُعد أحد أعمدة الأدب المقارن الحديث، خاصة من خلال تعريفه الشهير للأدب المقارن كـ"**تاريخ العلاقات الأدبية الدولية**". نشر كتابه الأساسي LA LITTERATURE COMPAREE عام 1951 في سلسلة JE SAIS QUE، الذي يُستخدم كمرجع تعليمي حتى اليوم في الجامعات الفرنكوفونية، بما في ذلك الجزائر. ساهم غويار في تطوير المنهجية المقارنة من خلال التركيز على التأثيرات الثقافية والصور النمطية، معتمدًا على دراسات سابقة مثل أعمال بول فان تيغم وجان-ماري كاريه.

ولد غويار في سياق ما بعد الحربين العالميتين، وعمل أستاذًا مساعدًا في السوربون، حيث درّس الأدب المقارن تحت تأثير "المدرسة الفرنسية" التي أسسها بول هازارد وبول فان تيغيم. توفي عام 1974، تاركًا إرثًا يمتد إلى الدراسات العربية والإفريقية، كان جزءًا من جيل سعى لجعل الأدب المقارن علمًا جماعيًا، يعتمد على فرق بحثية لتتبع التأثيرات عبر الحدود، بعيدًا عن الدراسات الفردية.

يقول **فرانسوا غويار** في مقدمة كتابه **الأدب المقارن** "المقارن ليس الذي فقط يزاوج أو يقابل أثرين أو ثلاثة آثار من آداب مختلفة فالمقابلة الحتمية من 1820 إلى 1830بين شكسبير وراسين هي من النقد والتأنق الأدبي، بينما إبراز ما عرف شكسبير من مونتاني هذا هو الأدب المقارن، إذن الأدب المقارن ليس المقابلة، فهذه ليست سوى واحدة من طرائق علم يمكن تسميته

تاريخ العلاقات الأدبية الدولية"[1] وبعدها يعود في صفحة أخرى ويقول متمما كلامه "الأدب المقارن هو تاريخ العلاقات الأدبية الدولية، من هنا إن الباحث المقارن يتوقف عند الحدود اللغوية أو الوطنية ويراقب تبادل المواضيع والأفكار والكتب والمشاعر بين أدبين وأكثر ومن هنا إن طريقة عمله يجب أن تنطبق على تنوع أبحاثه"[2] ويعزو غويار نشأة الأدب المقارن إلى العصر الرومانطيفي في فرنسا فهذه الرؤية على حد قوله شكلت وعيا كوزموبوليتانيا/عالميا مكّن الأدب المقارن من الظهور في الساحة الدولة، "لأن العصر الرومانطيقي في فرنسا هو الاكثر إلحاحا لهذه الحاجة كان هو الذي شهد ولادة الاد المقارن"[3] وبالإضافة إلى هذا الوعي ساهمت الطريقة التاريخية أو بلغة أخرى المنهج التاريخي في بلورة هذا الاتجاه فقد ساعد هذا المنهج الناقد المقارن في اكتساب ثقافة تاريخية مكنته من وضع الأحداث الأدبية ضمن إطارها التاريخي فبول هازار مثلا لو لم يعرف جيدا تاريخ الثقافة الفرنسية وكذا تاريخ الثقافة الإيطالية في أواخر القرن الثامن عشر لما أستطاع أن يقدم مداخلته المعنونة **بالثورة الفرنسية والآداب الإيطالية** .

إن ما نستنجه في الأخير أن هناك بعض الفروق التي ميزت تطرف غويار للأدب المقارن عن بول فان تيغم فإذا كان هذا الأخير يجعل من نطاق المركزية الأوروبية فضاء للأدب المقارن فإن غويار حاول نوعا ما الإشارة إلى أنه يمكن مقارنة آداب فرنسا بما هو خارج أوروبي، في حين نجد أن الاثنين اتفقا على أن مسألة التأثر والتأثير هي نقطة مهمة وأحد الركائز الأساسية في الأدب المقارن وفي هذه النقطة يختلفان حول طبيعة التأثير فالتأثير عن تيغم محصور ضمن نطاق الثقافة الفرنسية عكس غويار الذي كان التأثير عنده عالمي الطابع، وفيما عدا هذا يتفق كلا من غويار وتيغم في معظم النقاط خصوصا مسألة **الحدود اللغوية والمنهج التاريخي**.

---

[1]- فرانسوا غويار: الأدب المقارن، تر: هنري رغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1988، ص07.

[2]- فرانسوا غويار: الأدب المقارن، ص15.

[3]- فرانسوا غويار: الأدب المقارن، ص11.

قدم عزالدين المناصرة في كتابه النقد الثقافي المقارن ص 117-118 مقارنة مهمة بين إنجازات فان تيغم وغويار في الأدب المقارن سنحاول نحن هنا بدورنا أن نقدمها من خلال جدول نبين فيه أهم هذه الفروقات على الرغم من أنه لا توجد اختلافات كثيرة فقد اتفق الاثنان على معظم الرؤى التي ترتبط بحقل الدراسات المقارنة وخصوصا من ناحية المنهج وتتمثل هذه الاختلافات في:

الأدب المقارن من منظور تيغم	الأدب المقارن من منظور غويار
✓ ينطلق في تعريفة للأدب المقارن من منهج ثنائية المقارنة بين أدبين، بينما يسند مهمة المقارنة بين عدة آداب **للأدب العام** وهو ما يؤكد مبدأ **المركزية الأوروبية** ✓ يشترط فان تيغم **الحد اللغوي** فاصلا بين أدبين	✓ ينطلق عمليا ويتجول في آداب أوروبا المركزية لكنه نظريا يوّسسه بإشارات خفيفة إمكانية المقارنة مع خارج فرنسا وخارج أوروبا. ✓ يوسع غويار **الحدود اللغوية**

03- عيوب المدرسة الفرنسية:

على الرغم من أن المدرسة الفرنسية كانت السباقة في التأسيس للدراسات المقارنة إلا أن هذا لا يعني أنها لم تخلو من النقائص والعيوب التي جعلت رؤيتها للأدب المقارنة رؤية ضيّقة سنحاول من خلال هذا العنوان الإلمام بمختلف النقائص التي تحدث عنها الباحثون وهذه النقائص لا يعني أن هذه المدرسة لم تقدم شيء في هذا المجال بل هو رؤية جديدة سيعمق مجال الأدب المقارن وسيؤسس لمفاهيم جديدة تبين ثراء هذا النوع من الدراسات ومدى انفتاحه على مختلف الثقافات وقد تمثلت هذه النقائص في:

1. عانى مفهوم الأدب المقارن في المدرسة الفرنسية منذ نشأته من قصور في عدة أوجه كعدم التحديد والخضوع للنزعة التاريخية والولع بتفسير الظواهر الأدبية وعدم التناسق بين المنطلق القومي والهدف العالمي وكانت النتيجة الطبيعية ان احتلت العوامل المؤثرة في الأدب المكان الأول من عناية الباحثين المقارنين في حين احتل الادب نفسه وهو موضوع الدراسة المكان الثاني.
2. كانت حوافز الكثير من المقارنين الفرنسيين على الرغم من كوسمبوليتنيتها المعلنة تخضع لاعتبارات قومية وطنية لحد أن هذه الدراسات لم تكن أكثر من أن تكون ملحقات للأدب الوطني.[1]
3. ظهور النزعة الاستعمارية في عملية النقد من خلال إثبات تأثير الأدب الأوروبي على الآداب غير الأوروبية.
4. الأدب المقارن وفق مفهومه التاريخي لا يتناول العمل الأدبي بالنقد والتحليل وإنما يحصر نفسه في مشكلات خارجية تتصل بالتأثيرات والمصادر والذيوع والشهرة .
5. ثمة مشاكا تنجم عن التزام المدرسة الفرنسية بالمعيار اللغوي في تحديد حدود الأدب القومي منها:

---

[1]- ينظر: سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن-دراسة منهجية-، ص ص 62-63.

- مسألة الآداب التي تكتب بلغة واحدة مثل مثلا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.
- مسألة الكتاب الذين يبدعون ويكتبون أدبا بغير لغتهم الأم. فهل يعتبر هذا الأدب أجنبيا أم ينتمي إلى الآداب الوطنية.
- مسألة البلدان التي يتحدث شعبها بلغات عدة كسويسرا التي تعترف بثلاث لغات.[1]

[1]- ينظر : ريحانة منصوري: الأدب المقارن مدارسه ومجال البحث فيه، مجلة التراث الأدبي، العدد8، ص ص 130-131.